

تفسير أبي السعود

فصلت 21 22 إذا ما جاءها اي جميعا غاية ليحشر او ليوزعون أي حتى إذا حصروها وما
ميزيدة لتأكيد اتصال الشهادة بالحضور شهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم بما كانوا
يعملون في الدنيا من فنون الكفر والمعاصي بأن ينطقها ا^١ تعالى أو يظهر عليها آثار ما
اقترفوه بها وعن ابن عباس رضى ا^١ عنهما أن المراد بشهادة الجلود شهادة الفروج وهو
الأنسب بتخصيص السؤال بها في قوله تعالى وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا فإن ما تشهد به
من الزنا أعظم جناية وقبحا وأجلب للخراب والعقوبة مما يشهد به السمع والأبصار من الجنايات
المكتسبة بتوسطهما وقيل المراد بالجلود الجوارح اي سألوها سؤال توبيخ لما روى أنهم
قالوا لها فعنكن كنا نناضل وفي رواية بعدا لكن وسحاق عنكن كنت أجادل وصيغة جمع العقلاء
في خطاب الجلود وفي قوله تعالى قالوا أنطقنا ا^١ الذي أنطق كل شيء لوقوعها في موقع السؤال
والجواب المختصين بالعقل أي أنطقنا ا^١ الذي أنطق وأقدرنا على بيان الواقع فشهدنا
عليكم بما علمتم بواسطتنا من القبائح وما كتمانها وقيل ما نطقنا باختيارنا بل أنطقنا
ا^١ الذي أنطق كل شيء وليس بذاك لما فيه من إيهام الاضطراب في الأخبار وقيل سألوها سؤال
تعجب فالمنى حينئذ ليس نطقنا بعجب من قدرة ا^١ الذي أنطق كل حي وهو خلقكم أول مرة وإليه
ترجعون فإن من قدر على خلقكم وإنشائكم أولا وعلى إعادتكم ورجعكم الى جزائه ثانيا لا
يتعجب من انطاقه لجوارحكم ولعل صيغة المضارع مع أن هذه لمحاورة بعد البعث والرجع لما
أن المراد بالرجع ليس مجرد الرد الى الحياة بالبعث بل ما يعمه وما يترتب عليه من
العذاب الخالد المترتب عند التخاطب على تغليب المتوقع على الواقع على أن فيه مراعاة
الفواصل وقوله تعالى وما كنتم تسترون أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم ولا جلودكم حكاية
لما يقال لهم يومئذ من جهته تعالى بطريق التوبيخ والتفريح تقريراً لجواب الجلود أي ما
كنتم تسترون في الدنيا عند مباشرتكم الفواحش مخافة أن تشهد عليكم جوارحكم بذلك كما
كنتم تسترون من الناس مخافة الافتضاح عندهم بل كنتم جاحدين بالبعث والجزاء رأساً ولكن
ظننتم أن ا^١ لا يعلم كثيراً مما تعملون من القبائح المخفية فلا يظهرها في الآخرة ولذلك
اجرتاً على ما فعلتم وفيه إيذان بأن شهادة الجوارح باعلامه تعالى حينئذ لا بانها عالمة
بما شهدت به عند صدوره عنهم عن ابن مسعود ه^١ كنت مستترا بأستار الكعبة فدخل ثلاثة نفر
ثقفان وقرشى أو قرشيان وثقفي فقال أحدهم أترون ان ا^١ يسمع ما نقول قال الآخر يسمع إن
جهرنا ولا يسمع أن